مواقف الخلافة العباسية من الإخشيديين (٣٢٤ – ٣٥٨هـ/٩٣٥ – ٩٦٨م)

أ. م. د. وائل كليب مطلك
جامعة سامراء – كلية الآثار

أ. م. د. عبد السلام جمعه محمد أمين
جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

حاولنا من خلال البحث الوقوف على طبيعة المواقف للخلفاء العباسيين من الإخشيديين، من خلال التعرّض لأبرز القيادات التي كانت على ولاية مصر تزامناً مع كل خليفة من الخلفاء، التي حاولت توظيف ما كان من أوضاع مضطربة في المغرب العربي في اتّجاه التّغيير، أو تكريس الأوضاع السّياسية القائمة في مصر حينذاك، وفي هذا الإطار ؛ سنتعرّض لكنيتهم بالإخشيديين، التي يمنحها الخليفة لكل منهم يتولى مصر، وكانت هذه الكنية التي تعني بالملك في الشرق وبالتحديد من الصَّغْدُ في فرغانة التي هي ببلاد ما وراء النهر.

ويبدو أنّ الإخشيديين قد تَمَّكنوا في سنواتهم الأولى من حكمهم ببسط نفوذهم على مصر؛ وذلك فإن الشعب المصري قد عاش أثناء الحقبة الزمنية لهم بهدوء ومأمن من الأحداث التي اجتاحتها، وعصفت بها، وهزت أركان الدولة العباسية في حينها، ومما لا شك فيه فإن محمد بن طغج الإخشيد، وحريصاً كل الحرص على الدفاع عن مصر، ويعيد أمجادها كما سبق في عهد الطولونيين.

وما نرجو من هذا البحث أن يكون قد نجح في إعطاء صورة واضحة المعالم للمواقف والعلاقات القائمة بين الخلافة وبين أسرة الإخشيديين، وإظهار الصعوبات التي تواجه البحث في حالة القبول بالفرضية القائلة بأن الخلفاء كانوا على يقين بانفصال دويلة الإخشيديين من الخلافة العباسية لما تمتلكه من مقومات للدولة القوية في حينها.

The Positions of the Abbassid Caliphate from the Al-Ikhshidis (324- 358A.H\935-968 A.D)

Dr. Abdul Salam J. Mohammed Amin
University of Tikrit
College of Education for Human Sciences

Dr. Wael Kulip Mutlaq
University of Samarra- College of Archaeology

Abstract

This research sought to determine the nature of the verdicts of the Abbasid caliphs of the Al-Ikhshidis, through exposure to the most prominent leaders who were in the state of Egypt in conjunction with each of the caliphs who tried to employ the turbulent conditions in the Arab Maghreb in the direction of change, Egypt at that time, and in this context; we will show their status to the nickname s, who are given by the Caliph of each of them to take over Egypt, and this was the nickname that means the king in the east and specifically the small in Fergana which is in the countries beyond the river. In the early years of their rule, the Ikhsidis managed to spread their influence over Egypt. The Egyptian people lived during the period of time calmly and safely from the events that swept them, and bombed them, and shook the pillars of the Abbasid state in time. Undoubtedly, Al-Ikhashid was keen to defend Egypt and restore its glories as it was during the reign of the Toulonites This research is expected to have succeeded in giving a clear picture of the positions and relations between the Caliphate and the family of the Ikhshidis. The difficulties facing the study in the case of acceptance of the assumption that the caliphs were certain of a separatist unilateralism from the Abbasid state, Then.

المقدمة

الحمد لله ربَّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين ، وبعد...

لعل هذه الدراسة– والتي تُعد في جوهرها بحثاً في مواقف الخلافة العباسية من الإخشيديين في عصر مهم وحساس للخلافة– والتي تخللت النصف الأول من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ الذي يتسم بالضعف والانحلال السياسي، وبدأ ذلك الوهن والتردي ينخر جسد الدولة العباسية بعد اتساع مساحة الأرض التي كانت مترامية الأطراف تسيطر عليها، فقد عُرف ذلك العصر بعصر الدويلات، والتي بدأت به تتنازع فيما بينها، إذ أظهر عدد من القادة العسكريين طموحاً سياسياً واضحاً، وبدأ كل منهم يخطط للوصول إلى الهدف كي يمنحهم الخليفة الألقاب كلقب (أمير الأمراء) مقابل مبلغاً من المال، وذلك بأي شكل من الأشكال ليصبح له التأثير على السلطة ومصدر القرار في دار الخلافة العباسية.

وما دفعنا للكتابة في هذا الموضوع وكما أشرنا سابقاً لأهميته؛ وذلك لأتساع مساحة الأرض التي كانت تابعة للدولة العربية الإسلامية، ومن ثم ضم العديد من المناطق الأخرى، مما أدى إلى توسع في المؤسسات الإدارية لها، ولذا أصبحت طموحات القائد العسكري في تلك المدة أن يكون على رأس الجند، وكذلك من حقه أن يدعي الولاية على البلاد التي هو مقيم فيها ويعمل لها باسم الوالي الذي سبقه، ثم أنه لم يكن متحد أو متفق على زعامة واحدة لعملهم السياسي تجاه العباسيين، وكل ذلك يجعلنا أن نعود بالحديث عن كثرة القيادات المتناثرة على مساحة الدولة العربية المترامية الأطراف في العصر العباسي، وبكافة الاتجاهات الأربع للدولة، ويعني بالتالي أن ولاء كل منهم في تلك الفترة لم يكن باتجاه واضح نحو والي معين، وصارت ظاهرة استقلال الولاة بولاياتهم الذين هم عليها عن الدولة العباسية، ولعل ذلك هو الذي يجعل محاولة الكتابة عن تلك النخبة أمراً محفوفاً بالصعاب.

ومن هنا جاءت الأهمية لتوضح الأحداث التاريخية التي حدثت في القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري، بأن أولئك القادة كانوا على العموم يُغيرون ولاءهم من والي لآخر بكل سهولة وحسب الظروف الزمنية، وبالمقابل أصبحت الكنى والألقاب مورداً مالياً للخلفاء، ولا يمكن لمركز الخلافة الاستغناء عن تلك الإيرادات، وفي سبيل ذلك حرص الخلفاء العباسيون على تثبيت سلطتهم في المغرب العربي؛ لأنها تمثل العصب الاقتصادي للدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي.

خَصَّص هذا البحث لموقف خلفاء الدولة العباسية من الإخشيديين مساحة واسعة عن كل حدث يحدث نظراً لأهميَّته؛ إذ وصلت العلاقة ما بين الخلافة والإخشيديين أوج قوتها ، باعتبارهم – بعد الطولونيين – الحقبة الزمنية التي زرع فيها محمد بن طغج بذرة تأسيس دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فَشَخَّص فيه نسبهم وانحدار أسرتهم ، وتسميتهم بالإخشيديين ، وتَحَدَّث عن كيفية وصولهم للقيادة واتخاذ القرارات المهمة مع العلاقة للقيادات الأخر، ووضح نُمُوَّ ورُسوخَ تلك العلاقات ، وأبَان عن الطموح للإخشيد وخروجه على القيادات التي سبقته ، وحَدَّد أسباب نجاحه، وَوَصَف قيام دَولتهم الفتية التي قامت عقب الدولة الطولونية ، وابتداء سياستهم التي امتازوا بها، وكشف عن مُعامَلَتهم لمنافسيهم كل حسب مكانته وقدرته وتحديه ، فإن الإخشيدي منهم أبقى على مَنْ أخلص له وأطاعه، وأهلك من تصدى له وتحداه ، وعَرَض لموقِفِهِ من الفاطميين والطولونيين ، فإنه كان ساخطاً عليهم، فقتل كثيراً منهم، وعنف بأنصارهم ، وبطَش بزعمائهم.

لقد كانت مسيرة الدولة الإخشيدية الممتدة من مصر والشام والحجاز، منذ أن ظهر وبقوة أسم طغج بن جف في عهد الدولة الطولونية، وبعدها كانت قائمة على جُهودِ أفرادٍ من أسرة الإخشيد مع كل موقف للخلفاء العباسيين، وكُلُ فَرْد منهم يُسهمُ بِنَصيب فيها لحين أن أفلت شمس دولتهم.

وأخيراً يُختتم البحث بالنتائج التي تضمنها البحث مع الإشارة إلى التفاصيل من المعلومات المهمة التي تناولها ، مما يجعل دراسة المواقف السياسية للخلفاء اتجاه الإخشيديين أمراً شاقاً غامضاً غير متكاملاً ، وأوضح العلاقة بين الخلفاء العباسيين وبينهم ، والتي مرت بمراحل زمنية متعددة تتسم كل مرحلة منها بمظاهر مميزة إلى نهاية دولتهم ، والنقاط ذات الأهمية التي توصلت إليها الدراسة ، ومن ثم قائمة المصادر المراجع التي اعتمد عليها هذا البحث .

نسب الإخشيديون:

تروي المصادر التاريخية عن أخبار الإخشيديين، بأنهم ينحدرون من سلالة المماليك التركية التي حكمت الولايات المهمة من غرب الدولة العربية الإسلامية في تلك الحقبة الزمنية، وأقامت دولة وبسطت نفوذها على مصر ومن بعدها بلاد الشام والحجاز واتسع ملكها وعظم سلطانها، وعاصمتهم (الفسطاط) سنة (٣٢٤- ٣٥٩/٩٣٥- ٩٦٩م)، ومن الميزات التي تميزت بها الدولة الفتية صبغتها العسكرية.

أغلب المصادر التاريخية تشير إن نسب أسرة الإخشيد يرجع إلى أحد القادة الذين قدموا من الشرق وبالتحديد من الصَّغْدُ أو (السغد) [١]في فرغانة التي هي تقع ببلاد ما وراء النهر- اليوم دولة طاجكستان- وكان كل ملك يعتلي عرشه بفرغانة يلقب بإخشيد ، وتعود العلاقة بينهم وبين بني العباس من زمن جَدّ محمد(جف)[٢]، وحينها اتصل بالخلفية العباسي **أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م)** ، والذي يمتاز عصره بالقوة والتغيير وخاصة في بنية جيشه الذي أعتمد على الجنس التركي على خلاف أخيه المأمون الذي يعتمد على غيرهم، وموقف الخليفة مقترن بمدى الولاء للدولة ، إذ قسم الجيش بين الأفشين وإشناس، واستمر الموقف مع الخليفة **هارون الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١- ٨٤٦م)** كما كان مع والده المعتصم وزاد عليه بتقسيم الدولة ما بين القادة الأتراك- إشناس وإيتاخ- في حينها[٣].

وأما طغج[٤] والد محمد معنى أسمه بالتركية عبد الرحمن ، وهو من شريحة الأغنياء ولديه مال وافر، ومن الذين برزوا في تلك المدة الزمنية و أصبح له مكانة آنذاك ؛ لذلك فقد قرَّبهُ أحمد بن طولون لكفاءته وأمانته التي وجدها عنده ، مما جعله يثق فيه بقوة ويوكل إليه المناصب المهمة ومنها توليته على منطقتي طبرية ودمشق، وصفه سهيل زكار[٥]، بأنه ((قد طغى وجار في دمشق جورا عظيماً)) ، بعد ذلك راحت القيادة الطولونية في مصر تمهد للعمل العسكري بغية السيطرة الكاملة على دمشق وضمها لولايتها .

استطاع طغج بن جف سنة (٢٧٦هـ/٨٨٩م) ست وسبعين ومائتين أن يتولى أمر مدينة حلب ، وبعدها أصبح عامل لخمارويه على دمشق ، وتمكن من أن يبني قوة عسكرية بوقت استثنائي ويدخِل بها عن طريق طرطوس إلى الروم أثناء عهد الخليفة **أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة المعتضد بالله سنة (٢٧٩-٢٨٩ هـ /٨٩٢-٩٠١م)**، وهو الخليفة الذي أمتاز عهده بفترة الانتعاش التي أعقبت فترة ضعف للخلفاء السالفين ، وكانت العائلتين من الخلافة العباسية والطولونية تربطهما صلة المصاهرة التي كانت سبباً لقوة العلاقة بينهما ، وعلى أثر ذلك

فتحها الإخشيد ، وموقف الخليفة منه الرضا، ما أن تمكن في سنة(٢٨٣/ ٨٩٦م) من خلع أبي العساكر جَيش بن خمارويه من ولاية دمشق وصار واليا عليها حتىٰ بدأ يطارد الروم البيزنطيين ، وعلى أثر ذلك بارك الخليفة عمله لمطاردة الروم البيزنطيين وتأمين الثغور وعدم تهديد كيان الدولة ، وهذا يؤكد استمرار الخليفة بإتباع سياسة المرونة مع الولاة والقادة الأقوياء التي يتميز بها كل واحد منهم ، وكذلك فإن أبناء خمارويه لم يكونوا متحدين أو متفقين علىٰ إدارة مصر والشام والحجاز تنظم سياستهم تجاه العباسيين في بغداد، وما أن دخلت سنة(٢٨٩هـ/٩٠١م) التي توفي فيها الخليفة المعتضد بالله(٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م)[٦]، ورجع متجهاً إلىٰ مصر وفي الطريق أعيد والياً علىٰ دمشق من قبل هارون بن خمارويه ، وعلىٰ أثر ذلك وقعت حرب محتدمة بين قواته وبين قوات القرامطة والتي استمرت لسنة كاملة(٢٩٠هـ/٩٠٢م) للسيطرة علىٰ بلاد الشام، ثم هُزِم جيش طغج وصارت دمشق تحت سيطرة القرامطة[٧].

التحق مع ابنيه محمد وعبيد الله بخدمة الخليفة **المكتفي بالله أبي محمد علي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠١-٩٠٧م)** الذي خلف والدهُ المعتضد بالله ، وموقف الخليفة مع الجميع لم يكن قاسياً كقسوة أبيه، تمكن من اجتذاب قلوب العامة بهدمه السجون التي أقامها والده ، والجدير ذكره هنا أنه استطاع التخلص من الطولونيين بعد أن ضعفت قوتهم نتيجة الخلاف ما بين أبناء خمارويه، انتشار وسيطرة القرامطة علىٰ بلاد الشام ، والدعوة العبيدية في المغرب[٨].

شهدت الفترة الأخيرة حالة الموادعة بينه وبين الخليفة التي يشوبها الشك والريبة والحرج لم تدم طويلاً، وعلىٰ أثر ذلك تغير موقف المكتفي بالله عليه وغضب منه وألقىٰ به في السجن مع أبنيه، وظلّ محبوساً لحين وفاته في الحبس سنة(٢٩٤هـ/٩٠٦م) ، إلا إن ولديه من السجن، إذ ألتحق عبيد الله فور خروجه من السجن بأمير شيراز بفارس ، وحينها ألتحق أخيه محمد بأحمد بن بسطام عامل الخراج[٩].

أبو بكر محمد بن طغج (٣٢٤- ٣٣٥هـ/٩٣٥-٩٤٦م):

وأمّا موقف الخلافة العباسية الذي اتخذته بعد انقسامها من مؤسس الدولة الإخشيدية أبو بكر محمد بن طغج الذي كانت ولادتهُ في بغداد سنة (٦٨-٢٦٩هـ/٨٨٢م)، وهو الأبن الأكبر لطغج ، واستمر حكمهُ (٣٢٤- ٣٣٥هـ/٩٣٥-٩٤٦م)، وأضفى علىٰ المنصب أبهة وبيّن نفسه أنه هو القائد المتمكن ، وبعد ذلك وصل إلىٰ مصر مع أبن بسطام الذي تولىٰ خراجها في حينها، وعمل في خدمته لمدة زمنية ليست بالقليلة ، وبعد وفاة أبن بسطام استمرت تلك العلاقة على

نفس الوتيرة مع أبنه الذي خلف والده في توليه الخراج ، ففي عهد الخليفة العباسي **المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله (٢٩٥-٣٢٠ هـ/٩٠٧-٩٣٢م)** الذي تولى الخلافة بعد المكتفي بالله ، ظلّ أبن طغج ملازماً له ويعمل معه بإخلاص لحين عزله عن خراج مصر في سنة(٣٠٠هـ/٩١٢م) واستقر في مصر ولم يتركها واتصل بواليها آنذاك ، وانخرط في صفوف جنده ، و وَضعَ منذ بادئ الأمر نصب عينيه مبدأ منافسة القادة وإنهاء حالات الظلم والتعسف التي تسببوا بها ، وقد نجح على هذا الصعيد ، ولقد برز كشخصية متألقة ذا عزيمة ، وبعدها تولى إدارة مدينة الإسكندرية في سنة(٣٠٧هـ/٩١٩م) حينئذ[١٠].

ولمواقف الإخشيدي التي لم تتغير تجاه الخلافة العباسية في بغداد، ومنها المشاركات الأولى في صد الهجمات المتكررة لقوات الدولة الفاطمية المنطلقة من المغرب العربي متجهة نحو مصر لاجتياحها والسيطرة عليها واقتطاعها من الخلافة العباسية، وحينها كانت تلك الدولة تتطلع لولاية مصر منذ البداية ، وذلك لموقعها الجغرافي المتميز المهم ، والتي تُعد حلقة الوصل ما بين الشرق والغرب ، فكانت محاولة الفاطميون إغراءه وكسبه إلى جانبهم ، ولكنه رفض ذلك ، وظل متمسكاً بعلاقته القوية بالخلافة العباسية ، والجدير ذكره هنا أنه استطاع أن يبني جيشاً قوياً بلغ تعداده (٤٠٠,٠٠٠) أربعمائة ألف جندي لدعم حكمه ، لذا فإن كفاءته قد منحته الفرصة لتولي مناصب قيادية متقدمة وترسيخ الحكم في مصر لصالح الدولة العباسية وهي كانت غايتهُ ، حينما كان مؤنس الخادم صاحب السلطة الفعلية في مركز الخلافة بغداد متواجد فيها لأجل صد الخطر عنها، واقتنع بأنه آن الأوان للدفاع عنها ووقوفه بصمود وعناد بوجه قوات الدولة الفاطمية ، وبعدها قلده مؤنس ولاية الرملة في فلسطين سنة (٣١٦هـ) بموافقة الخليفة المقتدر بالله بولاية الرملة بالشام ، ومن ثم ولاية دمشق سنة (١٨ـ ٣١٩هـ/ ٩٣٠م)[١١].

موقف الخلافة العباسية من الإخشيدي يتجه نحو توطيد العلاقة معه أكثر مما كانت عليه سالفاً ؛ وذلك لأن أوضاع الخليفة المقتدر غير مستقرة ، لكونه صغير السن وأمره بيد والدته والحاشية من القادة الأتراك وغيرهم ، واستحواذهم على أموال الدولة من ضرائب وعوائد خراج الأرض ، وجميعها تذهب إلى البذخ والترف والإسراف في دار الخلافة من جانب ، ومن جانب آخر إلى خزائن القادة الأتراك ، حتى صارت خزينة الدولة خاوية في حينها ، وبالمقابل ما تشهده الدولة الإخشيدية من الاستقرار، وبعملها الدءوب المتواصل للنهوض بالحياة الاقتصادية ، فازدهرت الصناعات الحرفية وزيادة في الإنتاج الزراعي ، وعلى أثر ذلك نشطت التجارة في مصر[١٢] .

ووصولاً إلى المواقف أثناء خلافة **القاهر بالله أبي منصور محمد بن المعتضد بالله (٣١٩ – ٣٢٢هـ/ ٩٣٠-٩٣٣م)** الذي أحاطت به الظروف الصعبة والأوضاع المتردية في دار الخلافة ، كخلعه من الخلافة مرتين خلال مدة حكمه ، ففي سنة(٣٢١هـ/٩٣٢م) قد تحرك الجند ضدهُ ، وباتفاق ما بين مؤنس الخادم والوزير أبن مقلة على خلعهِ[١٣]، والملاحظ في وقتها قد ظهر موقفهُ من الإخشيدي بالموافقة على توليته على مصر في نفس السنة التي خُلع الخليفة فيها، ودعي للإخشيدي بها ـ أي مصر ـ والإخشيد في حينها متواجد في دمشق ، وقد استغرقت مدة ولايته عليها (٣٢) أثنين وثلاثين يوما ، ولم يطأ أرضها ويدخلها ؛ بسبب كثرة الحركات والفتن التي عصفت بمصر في حينها[١٤].

وما أن دخلت أيام حكم الخليفة العباسي **الراضي بالله أبي العباس محمد بن المقتدر بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ /٩٣٤-٩٤٠م)** الذي تمت البيعة لهُ وهو عمرهُ (٢٥) خمس وعشرون سنة، وكان يوم خُلع فيه القاهر بالله ، إلا ان الراضي بالله ووالدته في حينها كانا مسجونين ، فأخرجوهما الأتراك وأجلسوه على سرير ـ كرسي ـ الخلافة وسلم عليه الجميع بالخلافة ، وقد ظهر في عهده منصب (إمرة الأمراء) بصورة رسمية على أنقاض منصب الوزارة ، وكان في حينها ببغداد محمد بن الرائق وهو من الرجال المهمين العتاة الذي علا شأنهُ ، حتى جعل الخليفة العباسي يقدم على تقليده كافة أمور الدولة ، وبهذا أصبح المنصب بمثابة نقل السلطات التي يتمتع بها الخليفة إلى القائد العسكري ، وكل شيء ينظر فيه من أمور الدولة ، وجميع الأموال تحمل إليه وتوضع في خزائنه ، فيتصرف بالأموال كما يشاء ، وهو المسؤول الأول والأخير وتوقفت الدواوين وأبطلت الوزارة وأبطل كل شيء [١٥]، وتبيّن ان الأوضاع تنذر بالضعف الكامل للدولة ، وتدهور الأمور وجعل الأجنبي يطمع بأرض الدولة العربية الإسلامية .

بعد ما شعر الخليفة الراضي بالله بعدم إمكانية بقاء الأمور في مصر كما كانت سابقاً، أثر الفتن والثورات التي حدثت فيها ؛ لذلك لم يجد خيراً من محمد بن طغج ليكون والياً على مصر سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م) ، فلا بد أن يتخذ موقفاً مؤيداً لأبن طغج رغم الظروف الصعبة ، فقد أثبت أنه والياً ناجحاً حينما أسند إليه المنصب ، وأعتبر الأمر ليس هيناً لوقوف أحمد بن كيغلغ والي مصر السابق ، وعامل الخراج محمد بن عليّ الماذرائي ، ولقد تحولا إلى عدوين لدودين ويبيتا له العداوة والقتل لعدم تولي أحمد مقاليد الولاية ، وعلى أثر ذلك لجأ إلى استخدام قوة السلاح ، ثم خرج باتجاه مصر بمقدمة حملة عسكرية على جانب البر وعلى جانب البحر ترافقه حملة أخرى بحرية ، فنجحت الحملة البحرية بالاستيلاء على مناطق الثغور المصرية في اتجاه دمياط ، وواصلت السير في النيل حتى بلغت سَمَنُّودُ[١٦] ، وفي ذلك المكان التقت الحملة بقوات

أبن كيغلغ ومحمد الماذرائي المحمولة على سفن ، فقد تمكن الإخشيدي من إلحاق الهزيمة المنكرة بقواتهما في شهر شعبان /تموز من نفس السنة ، واستمرت الحملة بمسيرها حتى تمكنت من جزيرة الروضة بمدينة القاهرة ، بعد أشهر وجيزة وتزامناً مع انتصار الحملة البحرية كانت قوات الاخشيد البرية قد حققت نجاحاً بفتح مدينة الفسطاط في شهر رمضان / آب من نفس السنة تلك(١٧).

ما أن دخل الإخشيد عاصمة البلاد وبدأ بتثبيت أركان دولته وفرض سلطته من خلال العلاقات الوطيدة مع الخلافة العباسية والدعم المستمر ، مما أتيح له من تأسيس قوة عسكرية قوية ، وضم إلى تلك القوة أعداد كبيرة من الجند ، واستطاع بعدها جمع الأموال بوسائل جديدة أبتكرها ، ومنها مصادرة أموال من كان صاحب رأس مال كبير ، وكذلك قيامه بضرب المعارضين له والخارجين على قانون نظامه ، قام بإنهاء الاضطرابات التي يثيرها التابعين للحكام السابقين لهُ ، وأصبح صاحب السلطات المطلق فيها ، و إلى جانب ذلك فأنه عمل جاهداً على صد الهجمات التي كانت تشنها قوات الدولة الفاطمية على مصر الذين أصروا على ملاحقته بالحملات العسكرية المتتالية وتكررت المواجهات المسلحة بين الطرفين، وظلت الأجواء المتوترة تحكم العلاقات ما بين الفاطميين والإخشيديين ، وعلى الرغم من كل الظروف الصعبة التي مرّت به تمكن من بسط نفوذه وجعل الأوضاع مستقرة في داخل مصر ونجح في ذلك ولقب من قبل الخليفة بالإخشيد.

حين نجح الإخشيدي بالسيطرة الكاملة علىٰ مصر وبمباركة الخليفة الراضي بالله أصبح والياً عليها؛ أقتنع بأنه آن الأوان لإخضاع فلسطين لحكمه سنة (٣٢٣هـ/٩٣٥م)، وإلىٰ جانب ذلك فإن الإخشيدي وضع منذ وقت مبكر خطط لسياسته المستقبلية في مقدمتها الاهتمام بالقدس الشريف حضارياً وثقافياً واقتصادياً، وحاول بذلك كسب عدد كبير من رجال الدين والعلماء إلىٰ جانبهِ ، وفي عهدهِ اتجهت سياستهُ علىٰ أن تقوم علىٰ قواعد ثابتة من العلم والمعرفة وفق سياسة تعليمية شاملة ، وعلىٰ أثر ذلك ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية وظهر عدد من العلماء والفقهاء والمحدثين والجغرافيين أمثال : صاحب كتاب (البدء والتاريخ) المطهر بن طاهر المقدسي ، وقد عمل الإخشيديون علىٰ أن تكون مدينتي الرملة وطبريا مركزين لسك العملة ـ النقود– وفيهما أنشأت لضربها، ومن الجدير ذكره هنا انه في عهد الإخشيد أقام التحصين العسكري وأنشأ القلاع والحصون ومنها: حصن عسقلان وحصن أيلة ـ أي الرملة ـ وسور عكا وقلعة غزة وقلعة قيسارية وقلعة يافا(١٨).

ولما علم أبن طغج بموقف الخليفة وأمير الأمراء ثارت ثائرته ، وتبدلت علاقة المودة التي كانت تربط بينه وبين الخليفة العباسي إلى كراهية ، بعد ما شعر أبن طغج بعدم إمكانيته البقاء ساكناً ، وبالمقابل من ذلك أتساع سلطان القائد محمد بن الرائق في المناطق المتاخمة لولاية بلاد الشام ، وكما ذكر الدوري[١٩] أن فترة النزاعات بين الأمراء الطامحين كان لها النتائج الوخيمة على اقتصاد الدولة ، ومن هؤلاء الأمراء ابن الرائق التي أتسمت فترته بالفساد الإداري ، وخربت في عهده الأنهار والجداول والترع كنهر ديالى والنهروان في فترته ونتيجة سوء تصرف جنده ، وقد ذكرنا تلك الأنهار على سبيل التمثيل ، لا الحصر ، وعلى أثر ذلك ارتفعت الأسعار لدرجة كبيرة مما شكلت خطراً على اقتصاد الدولة ، فبدأ بالتهديد الفعلي للإخشيد ومطالبته المستمرة بالأموال كأنها الجزية على ما يمتلكه الإخشيدي في بلاد الشام ، وتخوف الإخشيد من تحركات ابن الرائق نحوه الذي يمثل موقف الخلافة ، فسار لمقاتلته عند مقربة من طبرية في فلسطين ، ووقف بصمود وعناد بوجهه ، ونجح الإخشيد من مباغتته والانتصار عليه ، وعلى الرغم من ذلك لم يشعر بالأمان منه لأنه يمثل قوة دار الخلافة ، وانه لن يستطيع الصمود طويلا أمام ابن رائق إن كرر الحملات العسكرية عليه ، لذا فقد صالحه على أن يحمل كل سنة (١٤٠) مائة وأربعين ألف دينار مقابل أن يترك له مدينة الرملة وهو يترك باقي بلاد الشام لابن رائق[٢٠]، فأراد الإخشيد التقرب منه أكثر عن طريق المصاهرة بينهم ، فقد زوج الإخشيد أبنته من أبن محمد بن الرائق سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م[٢١] ، وكل الذي عمله وجده مناسباً له في هذا الظرف الصعب ، تجسد في استعادة سلطاته على الأراضي التي كانت تحت سيطرته سابقاً.

ولم يكن انتهاء موقف الخليفة الراضي بالله من الإخشيد بيوم وفاته في سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م نهاية العلاقة بين الخلافة وبين الإخشيد ؛ بل بعد ذلك ينتظره الموقف الجديد بعد أن بدأت المبايعة والمناداة بالخليفة **لإبراهيم المتقي لله بن جعفر المقتر بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤ -٩٤٥م)** الذي كانت ولادته سنة ٢٩٢هـ /٩٠٤م ، وثمة احتمال انه كان أكبر سناً من أخيه الراضي بالله ، وظهر موقف المتقي لله ضعيفاً اتجاه القادة الأمراء ، ولا شكّ في أن الوضع السياسي للخلافة العباسية قد فسح المجال أمام أمرة الأمراء لتقليص سلطان الخلافة ، وهناك تذمر الإخشيد من محمد بن الرائق الذي قتل سنة ٣٣٠هـ /٩٤٢م ، وعلى أثر أخبار مقتل أبن الرائق سار الإخشيد قاصداً دمشق فدخلها في نفس السنة وضم بلاد الشام إلى ولايته ، ثم استقلت بشؤونها فيما بعد [٢٢].

قام الأمير محمد بن طغج بكسب ودّ وثقة الخليفة المتقي لله ، ومقابل ذلك تغير موقف الخليفة منه وأقره على ولاية الشام ، مع استمراره على ولاية مصر إذ استخلف أخاه الحسن بن

طغج عليها ، ولما دخل محمد بلاد الشام أصلح أمورها وأقام بها مدّة ، وغادرها سنة (٣٣١هـ/٩٤٣م) إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وعمل الإخشيد جاهداً على تقوية أركان حكمه، ولذلك استعان بالخلافة العباسية من أجل توحيد القوى لمحاربة القوى الطامعة بمصر والشام، وبموجب هذا العمل صار أبن طغج مقلداً الشام ومصر ويدين لموقف الخلافة العباسية بالولاء(٢٣).

أدرك الإخشيد بأن تنافس الأمراء في بغداد للسيطرة على الخليفة المتقي لله قد بات وشيكاً، ولأجل ذلك تدخل ابن طغج بوصفه أحق بالوقوف إلى جانب الخليفة وليمنع الأمراء من السيطرة علىٰ مقدرات الخلافة ، فإن أوضاع العامة في بغداد قد وصلت إلى مرحلة القلق وحياة الظلم والتعسف والفساد وإهمال مطالب العامة ، وهضمها من جانب سلطات الخلافة العباسية في بغداد، فقد دعاهُ ـ أي الخليفة المتقي لله ـ إلى مصر كما فعل أحمد بن طولون بدعوة الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م) والتي رفضها المعتمد ، لكن موقف الخليفة المتقي لله وبكل وضوح رفض هذه الدعوة ، وهكذا لم يتحقق للإخشيد ما كان يبتغيه في جعل ولاية مصر مركز للخلافة العباسية (٢٤).

وذُكِر في بعض المصادر التاريخية أن محمد بن طغج وصف بالشجاعة واللين في آن واحد من خلال التروي وبعد النظر للمشاكل التي تواجهه بحسن السياسة ، وكذلك التعامل مع أعدائه بالمدارة أن لم يقدر على منازلتهم والتغلب عليهم ، وعني ببناء الجيش كما ذكرنا سالفاً للوقوف بوجه أعدائه ، إذ انفرد بفكرة بناء دار لصناعة السفن على البر مقابل ساحل الفسطاط ، وسميت من قبل بدار الصناعة الكبرى ، وقد أظهر عصره النهوض بالحياة الاقتصادية ، ولطموحه ببناء دولة قوية وصف بحرصه الشديد على المال الذي كان من الميزات التي يمتاز بها، وعلى الرغم من كل ذلك وصف أنه شديد التقى، وأنه كان يجلس للنظر في المظالم يوم من كل أسبوع ، وكما ذكر ان مجلسهُ كان مجمعاً للمثقفين والعلماء والأدباء ، الذين كان يسمع لأحاديثهم ويشملهم برعايته ويصل كل واحد منهم بالعطايا (٢٥).

وكان لمواقف الخلافة الرافضة للخروج إلى مصر وتمسكها بالبقاء في بغداد ، قد كانت سبباً في مغادرة الإخشيد بغداد وعودتهِ إلى مصر، وذلك لأهميتها بالنسبة لهُ وللخلافة ، بعد أن حصل على رضا الخليفة وموقفهِ المؤيد للإخشيد ، فمنحه التأكيد على ولاية مصر لمدة (٣٠) ثلاثون عاماً ويستخلف على الامارة من بعده أبنه أنوجر الإخشيد عليها ، فقد شكلت تلك العودة إلى حد كبير فراغاً آنذاك ، مما فسح المجال أمام الرجل القوي سيف الدولة الحمداني صاحب الدولة الممتدة هيمنته على الموصل وحلب وقنسرين وحمص وأنطاكية وباقي الثغور الشامية واستطاع السيطرة عليها، ونجح في تكوين دولة قوية في حينها ، واستغل ذلك للوصول إلى بغداد

وانتزاعها من قبضة الإخشيدي، ولقد وصلت الأخبار للإخشيد ، وعلى أثر ذلك جهز جيشاً كبيراً وكان هو على رأسه للقاء سيف الدولة الحمداني ، والمعركة التي وقعت بينهما بالقرب من حلب عند قنسرين، وكان الفوز بالغلبة والنصر فيها لقوات الإخشيد ، وقد نجح على هذا الصعيد، على الرغم من انتصاره على خصمه ، لكن النصر لم يكن متكاملاً حاسماً ، مما دعا محمد بن طغج إلى الاتفاق على توقيع معاهدة صلح بينهما سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) ، وتضمنت الاتفاقية على أن يكون للحمداني من حمص وأعمالها إلى الشام ، و بالمقابل يكون للإخشيد من مدينة دمشق وأعمالها باتجاه الجنوب ، واتفقا الإخشيدي والحمداني على أن يقيما علاقة وثيقة لترسيخ الصلح بين الطرفين ، من خلال تزوج سيف الدولة الحمداني من فاطمة بنت عبيد الله بن طغج ، وكان ذلك في الحقبة الزمنية للخليفة المستكفي بالله عبد الله بن علي المكتفي بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م) كان عمرهُ (٤٠) أربعين سنة في حينها، وبعدها خلع أبن عمه المتقي لله، ومن ثم سار الإخشيد متجهاً إلى حلب واستقر فيها إلى أن وافته المنية سنة (٣٤-٣٣٥هـ/٩٤٦م) عن عمر ناهز (٦٦) السادسة والستين سنة ، فقد كانت مدة حكمه لمصر والشام (١١) أحدى عشرة سنة، وذُكِر أنه تم نقل جثمانه إلى مدينة القدس الشريفة ودفن فيها [٢٦].

ويبدو أن نهاية محمد بن طغج بصورة مفاجئة وثقيلة على البيت الإخشيدي ، كان لها أثرها، إذ أدت إلى إضطراب في الأوضاع ، ومن ثمة الظروف التي أعقبتها قد فتحت الباب واسعاً أمام كافور العبد الأسود الحبشي ، و الذي كان من ضمن المملوكين داخل البيت الإخشيدي، وكذلك كان مربياً لأبنائه وبعدها ترقى إلى أن أصبح كافور وصياً على ابنه الأكبر أبي القاسم أنُوجُور، حسب الوصية التي كان قد عهد بها إليه من قَبل محمد بن طغج ، وهكذا يمكن القول بأن إلى جانب ذلك مكانته العسكرية ، حيث أن قوته تزايدت في مصر، إلا أنه لم يكتفي بذلك ، وعلى أثرها بدأ بتدبير أمور الدولة الإخشيدية .

ومن جهة أخرى فإن موقف الخليفة العباسي **المطيع لله ، أبو القاسم الفضل بن المقتدر بالله (٣٣٤ – ٣٦٣ هـ/٩٤٥- ٩٧٣م)** الذي كانت ولادته عام ٣٠١هـ من كافور حين تسلم الخلافة ، فقد حاول أن يخلق جواً من التفاهم بينهما ، ورغم إدراك الخليفة بوجود تحركات لكافور للسيطرة على مصر ، لكن اقتضت الحاجة الملحة للبيت العباسي بالموافقة على كافور وبإصرار لملأ الفراغ الذي تركه محمد بن طغج عند وفاته، وعلى أثر ذلك كتب الخليفة للأمير أنُوجُور يعزيه بوفاة والده[٢٧]، وكانت وراء تلك الرسالة التأييد الكامل من قبل مركز الخلافة للعائلة الإخشيدية .

لقد واجه الوصي الأمير كافور في أيامه الأولىٰ بعض القلاقل والنزاعات فاجتمعت عليه تحديات داخلية وما مُنيت به من التطاحن والمنافسات بين رجالات الإخشيد وتحديات خارجية أخرىٰ، إذ تمكن من القضاء علىٰ حركة خطيرة قام بها أهل مصر في الداخل ، وعلىٰ أثر ذلك لمع نجمه وارتفع شأنه بين الناس ، ثم أعقبها وصول الأخبار إليه بتدهور الأوضاع في بلاد الشام ، وسيطر الحمدانيون على دمشق بعد حلب ، وبأنهم خططوا للمسير إلى الرملة وبعدها غزو مصر ، فجهز كافور جيشاً لمحاربتهم ، واستطاع أن يحسم المعركة لصالحه بالقرب من دمشق ، ودخلت قوات الإخشيديين مدينة حلب ، وتم الاتفاق بينهما على عقد معاهدة الصلح وبالشروط التي كانت قد عُقدت بها في زمن محمد بن طغج [٢٨].

ويبدو أن حركة الحمدانيون كانت فرصة لكافور حتىٰ يفرض سيطرته علىٰ حلب ، إذ استغل تلك الفرصة والأمر الذي جعلهُ يقوم بالتصدي للمخطط الحمداني لغزوا مصر ، إذ لم يسمح لهم بالوصول لمصر ، وإنهاء قوتهم في الشام ونجح في عقد المعاهدة ، ولقد عاد بعدها إلى مصر ليُثَبت أركان الدولة الإخشيدية فيها .

كان موقف الخليفة العباسي من كافور معروفاً مسبقاً بالموافقة والتأييد من قبل الخلافة على تولية أنوجور الإخشيد على مصر وبلاد الشام وعلى مدينتي الحرمين الشريفين ـ مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ مما جعل كافور يُقدم علىٰ إدارة حكم تلك المناطق باسم الأمير الإخشيد ، وبذلك فإنه سلب كل حقوق الإخشيد في إدارة الدولة ، وعقب تلك الأحداث أدىٰ إلىٰ إنقسام المجتمع بينهما لقسمين ، والجند كذلك منقسمين بين تابعين للإخشيد وآخر لكافور ، وبعدها تمت مخاطبة كافور من قبل العامة بالأستاذ مع ذكر أسمه في الخطبة ، و دُعي لكافور على المنابر في مصر والمدن الأخرى التابعة للإخشيديين ، توفي أنوجور سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) تسع وأربعين وثلاثمائة، فحمل جثمانه هو كذلك إلى بيت المقدس وتم دفنهُ بالقرب من قبر أبيه[٢٩].

ومن الجدير بالذكر أن شخصية أبي مسك كافور أزاحت منافسيه من البيت الإخشيدي ، ولكن لم ينه النزاع بينه وبين أفراد العائلة ،فإن الإخشيديين تبيّن لهم أن كافور الخادم الأسود كان هو المخطط الأول لموت الأمير أنوجور ، إذ حدث خلاف بينهما كما ذكرنا سابقاً حول إدارة الدولة ، وتفاقم الوضع ووصل ذلك إلىٰ درجة العداوة الظاهرة ، وأن هدفه تثبيت كيانه الكافوري مهما كان الثمن لتوطيد دعائم وأسس حكمه .

و يبدو أن كافور لم يقف عند هذا الحد ، بل ذهب إلى أكثر من ذلك ، فقد أظهر ميوله تجاه العلويين ، إذ كان عارفاً بأقدار العلماء والأشراف منهم من خلال سياسته المبنية على الاحترام .

وأما في المدة الزمنية القصيرة التي أعقبة وفاة أنوجور ، ومن ثم تولى فيها أخيه **عليَّ بن محمد بن طغج الإخشيد(٣٤٩-٣٥٥هـ/ ٩٦٠-٩٦٥م)** ، وظلّ كافور هو الرجل الأول والمباشر في إدارة الدولة بنفسهِ ، ولم يكن للأمير عليَّ الاخشيدي أي دور يذكر في إدارة الدولة غير مكوثه لمدة من الزمن ليست بقليلة في داخل قصرهِ ، ويستلم الصلات والمنح من الأموال التي كان عينها له كافور كما كانت لمن يسبقه ، وتصله لقصرهِ ومقدارها (٤٠٠,٠٠٠) أربعمائة ألف دينار سنوياً ، وعلى الرغم من ان عليَّ كان عند توليه الولاية عمره (٢٣) ثلاثة وعشرين سنة، وكذلك لم يتركهُ كافور أن يظهر للناس على أنه هو الأمير، مما جعله أن ينصرف إلى العبث والشرب واللهو، وبقي على تلك الحال إلى أن تاب عليَّ وتمسك بإقامة الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، وفي سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م كانت لعلي محاولة لإثبات وجوده في الأمارة وتنحيته لكافور عن الحكم ، لكن تلك المحاولة فشلت لأنه كان ضعيف الشخصية ولم يكن هناك من يواليه وينصره ، وتزامن ذلك مع مرور مصر بأشد المحن ألا وهي انخفاض نهر النيل في سنة(٣٥١هـ)، وما تلاه من مجاعة وانتشار الأمراض ، وقيل في الروايات والأخبار أن كافور خطط لقتله وذلك بدس السم له كما فعلها سابقاً مع أنوجور ، ففي سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م توفي فيها عليَّ بن الإخشيد ، وتم فيها مراسيم نقل جثمانه إلى المقبرة التي دفن فيها والده وأخيه في مدينة القدس ودفن لجوارهم هناك [٣٠]، وتختلف الروايات والأخبار وتتناقض حول نهاية عليَّ ولعلنا نستطيع أن نميز رواية دس السم رغم إدراكنا لتداخل وتشابه بعضها في بعض في الجزئيات من حادث الوفاة .

ومما لا شك فيه ان الولاية في البيت الإخشيدي وخاصة في عهد عليَّ دب فيها الضعف، وهذا بدوره كان يفسر غياب الموقف القوي لأمرائهم الذي سار عليه محمد بن طغج، ولتلك الإدارة في مصر والشام والحجاز أصبحت بالاسم فقط لا غير، وكذلك قاست الولاية ـ الدولة ـ البؤس والشقاء لحدّ لم ترها من قبل، فكان ذلك من أسباب المهمة للأخذ بها، وأصبح ذلك واضحاً من كل جوانبه بأن قيادة كافور كانت تتمشى مع مركز الخلافة العباسية، إذ تمكن على أثرها سلب جميع حقوق الإخشيديين، وأصبح رجل دولة من طراز نادر، فاخلص له الناس في دولته ونفذوا أوامره.

فمن المتعارف عليه حسب القوانين و المراسيم أن يكون على الولاية أبي الفوارس أحمد بن عليّ الوارث الوحيد للعرش بعد وفاة الأمير والده آنذاك ، لكن لصغر سنه فقد حال كافور دون توليته على مصر ، وكانت حجة كافور التي اتخذها ذريعة ضده هي أنه غير صالح للولاية ؛ وذلك للسبب الذي أشرنا إليه سابقاً ولا يمكنه إدارة الدولة ، ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن كافور قام بأعمار المساجد والسقاية المسبلة وتشييد القصور الجميلة وترميم البيمارستان ـ المستشفيات ـ التي كانت مشيدة مسبقاً ، وتزامناً مع تلك الأعمال بدأت الظروف تتأزم أكثر وتتفاقم ، إذ على أثر ذلك أمر برفع المُؤن ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وشاءت الأقدار أن ينقص النيل ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار في حينها وكثر الغلاء واشتد، حتى أكل الناس الحيوانات من الجوع [٣١] ، فقد ظلّت ولاية مصر بغير أمير إخشيدي نحوا مدة من الزمن تقارب الشهر ، وفي نفس سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م استطاع كافور إظهار كتاباً من الخليفة العباسي **المطيع لله** ، موافقاً بتقليده على ولاية مصر، وكذلك لم يغير لقبه الذي تلقب به سابقاً ـ الأستاذ ـ ودعي له بعد الدعاء للخليفة على المنابر في الفسطاط عاصمة مصر، ثم تمّ لأبي مسك كافور ملك مصر والحرمين الشريفين ، فقد ارتدى الخلع من الملابس التي وصلت إليه من مركز الخلافة في بغداد على مرأى ومسمع من جميع شرائح المجتمع [٣٢].

ولعل هذه الإجراءات تعكس مقدرة أبو مسك كافور في استغلال الأوضاع لصالحه عن طريق الاستفادة من الضعف الذي كان لدى أبناء الإخشيد وكونهم صغار سن ، وكل ذلك يوضح لنا الموقف السياسي المتأزم والأوضاع النفسية الحرجة لكِلا الطرفين المتنافسين على الولاية ، ثم كانت الأوضاع في بلاد الشام تتجه نحو التصعيد ، فقد خالف الحسن بن عبيد الله بن طُغج بن الإخشيد الذي كان موجود في الرملة ، وأخذ البيعة لنفسه ، وستولى على جميع أملاك كافور في مدينة الرملة ، وهكذا جاء الموقف العام لأهل الرملة موافقاً لرأي الحسن و رافضاً لمخطط كافور في إقصاء البيت الإخشيدي .

ولو عدنا إلى المواقف والعلاقات مابين الخليفة وما بين كافور كانت تحكمها الظروف المحيطة بالخليفة آنذاك، ألا وهي غلبة البويهين الديالمة التي ذكرناها سابقاً واحتلالهم أرض العراق وبسط نفوذهم، ففي عهدهم ضعف سلطان الخلافة العباسية المستمر، فقد استبدوا بالحكم، وأصبح لهم الحل والعقد، ولم يعد للخليفة المطيع لله سوى الاسم فقط.

والذي يلفت النظر في هذا المجال، هو أنّ ميول كافور تجاه رجالات آل البيت الأطهار تتسم بطابع الاحترام ، وكانت غايته الأولى والأخيرة هي تحويل ولائه وطاعته من البيت العباسي إلى البيت العلوي ؛ وذلك نتيجة الظروف الصعبة من الكوارث الطبيعية التي مرّة بها

الدويلة الإخشيدية التي أدت إلى المجاعة والقحط ، وقد استمرت تلك المعضلة لمدة (١٠)عشر سنوات ؛ فخارت قواه ، حتى عجز عن صد القرمطي حينما أغار على بلاد الشام ، وقطع بعد ذلك طريق الحج الذي يربط بين مصر والحجاز، ثم عدم قدرة كافور على الدفاع عن دولتهِ حين غزتها قوات ملك النوبة ، وكذلك لم يستطع دفع رواتب الجند وأرزاقهم حتى حرسه الخاص ، فانقلبوا ضده وثاروا عليه[٣٣] ، وهكذا أصبحت الظروف أصعب وأشد على كافور للمدة المتبقية من حكمهِ .

تروي لنا الأخبار أن مواقف الخلافة العباسية في حينها ضعيفة لا ترتقي إلى المواقف الحاسمة ؛ وذلك كونها غدة في عهد السلطة البويهية ألعوبة بأيديهم وليس لها دور يذكر ، وكذلك كانت ظروف العاصمة الإخشيدية التي أعقبت وفاة أبو مسك كافور سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م)[٣٤] صعبة جداً ، و بعدها اجتمع الرأي إلى أبي الفوارس أحمد بن علي الإخشيدي ، الذي سانده ووقف إلى جانبه في الأيام الأولى لتوليه الحكم من أبناء عمومته الحسن بن عبيد الله ، فقد كان متواجد في مصر ، وفي سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) رحل الحسن إلى بلاد الشام ، وظلّت مصر ما يقارب من خمسة أشهر تحت سلطة الإخشيديين الاسمية[٣٥] ، ولسوء طالع أحمد بن علي ، فقد عمّت الفوضى أكثر مما كانت عليه سابقاً ، وصارت الدويلة إلى ما صارت إليه من بؤس وخراب، وبموت كافور تجددت محاولة المعز حاكم الدولة الفاطمية بإعادة الكرة لغزو مقر الدويلة الإخشيدية من حدودها الغربية ، وعلى هذا النحو أنشأ الإخشيديون دويلتهم ، وأسسوها في مصر، وعبئوا مؤيديهم فيها ، وانتظروا حتى واتتهم الفُرصة فاغتنموها، وأعلنوا دويلتهم ،فانهوا الدولة الطولونية ، واستصفوا مواقف الخلافة لصالحهم ، وغَلَبُوا عليها حتى نهاية دولتهم .

ومن هنا ، يمكن القول : إنّ تلك الحقبة الزمنية كانت لها تداعيات حدثت بعد وفاة حاكم الدولة الإخشيدية القوي محمد بن طغج (٣٢٣هـ / ٩٣٤م)، كما تقدم في البحث، كانت مدعاة لضعف السلطة الإخشيدية ، إذ تخرب الاقتصاد ونتج عنه ضعُف الجيش ، مما حدا بالخلافة العباسية بالتخطيط لاستعادت السيطرة الكاملة على مصر ، إلا إنه لم تفلح في ذلك ، لأسباب عدة ؛ كظهور الاختلافات الدينية في عاصمة الدولة العربية الإسلامية ، كما هو في غربها وشرقها من تناحر المذاهب الدينية المتشددة ، ولذا فقد سبقتها في السيطرت عليها الدولة الفاطمية بقيادة الخليفة المعز الفاطمي ، الذي تمكن من أن يبسط نفوذه بشكل كامل سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م عليها .

جدول بأسماء ولاة الدولة الإخشيدية :

ت	أسماء الولاة	المدة الزمنية للولاة
١	محمد بن طغج الإخشيد	٣٢٤ – ٣٣٥هـ/٩٣٥–٩٤٦م
٢	أبو القاسم أنوجور بن محمد بن طغج	٣٣٥–٣٤٩هـ/٩٤٦– ٩٦٠م
٣	أبو الحسن علي بن أنوجور بن محمد بن طغج	٣٤٩–٣٥٥هـ/ ٩٦٠–٩٦٥م
٤	أبو المسك كافور (خادم الإخشيد)	٣٥٥–٣٥٧هـ /٩٦٥–٩٦٧م
٥	أبو الفوارس أحمد بن علي بن أنوجور	٣٥٧– ٣٥٨هـ/٩٦٧–٩٦٨م

الخاتمة:

وفي ختام البحث نرى من الأجدر أن نجمع خلاصة ما تم استنتاجه على شكل نقاط وهي كما يلي:

١. أن ما قدمته دراسة هذا البحث تتعلق بمواقف الخلافة العباسية من دولة الإخشيديين في مصر وبلاد الشام والحجاز سنة (٣٢٤- ٣٥٩هـ/٩٣٥- ٩٦٩م) ، كباقي الدويلات الأخرى، التي كانت تريد الاستقلال الذاتي ؛ وذلك كونها تمتلك كل مقومات الدولة ، وبمعنى أدق مواقف مَنْ كان على رأس سلطة الدولة المترامية الأطراف وذات الحضارة العريقة من دويلة نشأة مثلها كمثل الدويلات الأخر ، سواء من التي سبقتها أو المعاصرة لها في الغرب أو الشرق من الدولة العباسية والتي تأثرت بالنزاعات السياسية والعقائدية حينئذ .

٢. تبيّن للبحث أنه رغم قصر المدة الزمنية للحكم الإخشيدي لمصر ، فقد شيد المساجد العديدة، والبساتين، والقصور الجميلة ، والبيمارستان ، والسقاية و مثلها السقاية المسبلة وغيرها .

٣. توصّلت الدراسة إلى نتيجة أساسية مؤدّاها أن الإشكالية السياسية الرئيسة ، و تتمثل بوضعية الحاكم في الولاية ، و كذلك طبيعة المواقف بينهم وبين الخلفاء ، ثم العلاقة بين الوالي والرعية ، وحدود الالتزام والطّاعة للخليفة ، وتوصيف حيازته للسلطة ، ومشروعية الخروج على الخليفة ، بالتّالي ؛ فإن مفهوم انفصال الولاية عن مركز الخلافة ، لا يعني الخروج من سلطته الروحية بل فقط الاستقلال في القرار السياسي أما تغير الخليفة فهو أيضاً لا يعني إلغاء مؤسسة الخلافة بل يعني فقط شخص الخليفة ، لا يعني تغيير نظام الخلافة بأكمله ، وذلك على اعتبار أن الخلافة وهي الإمامة في الدولة العربية الإسلامية ، و كان يُمثّل شخصهُ الدولة أو النظام ، والنظام بأكمله يتجسّد بشخص وكيان الخليفة ، مما أدى إلى الوضع السياسي المرتبك.

وهكذا نَخْلُصُ مما سبق إلى أنّ قلة المعلومات الموجودة في مصادرنا وتشتتها يجعل دراستنا لمواقف الخلفاء العباسيين السياسية من الأمراء الإخشيديين أمراً غامضاً غير واضح المعالم ، ومن المعلوم أن الخلفاء العباسيين خاصة الذين عاصروهم قد جعلوا التعاون بينهم وبين الإخشيديين ركناً ركينا من سياسة دولتهم ، ولذا قرّب الخلفاء العباسيون الأمراء الإخشيديين لكي يؤكدوا صبغة التأييد ويكسبوهم إلى جانبهم .

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) الصُغْدُ: بالضم ثم السكون، وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد: وهي أحدى الكور وقصبتها سمرقند، وقيل: هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارىٰ، ويقال: جبل معروف ؛ وأنشد أَبو إِسحق : ووَتَّرَ الأَساوِرُ القِياسا صُغْدِيَّةً ، تَنْتَزِعُ الأَنْفاسا، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩ م)، معجم البلدان، دار صادر للنشر، بيروت، ط٢، (١٩٩٥م)، جـ٣، ص٤٠٩؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (ت:٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب ، قدم له عبد الله العلايلي، اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، جـ٣، ص٢٥٦.

(٢) جف: هو بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خالقان من ملوك فرغانة، ومن القادة العسكريين الشجعان الذي يتقدم في الحروب، ولشجاعته وإقدامه فقد أحضره الخليفة المعتصم بالله وأكرمه وأقطعه القطائع بسامراء، وتوفي جف في بغداد سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م). أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، ط٢، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، جـ٥، ص٥٦ .

(٣) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، نشر دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط١ (١٩٦٠م)، جـ١، ص٤٠٥.

(٤) طغج: هو أبن جف بن يلتكين بن فوران بن فوري بن خالقان، وكان ينوب عن خمارويه بن أحمد بن طولون، وقدمه علىٰ من كان معه وقلده دمشق وطبرية، ثم خلع عليه الخليفة المكتفي بالله، وبعدها تغير عليه الخليفة وأودعه الحبس، فتوفي في السجن. وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٧ .

(٥) أخبار القرامطة في الأحساء– الشام– العراق– اليمن، نشر دار الكوثر (الرياض)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص١٣٧.

(٦) الكندي، محمد بن يوسف، (ت: ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ولاة مصر، تحقيق: حسين نصّار، نشر دار صادر– بيروت، ص٢٦٥؛ أبن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، نشر: دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، ط١ (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص٥١.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، نشر دار التراث– بيروت، ط٢، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، جـ١٠، ص٩٥.

(٨) أبن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، نشر دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط١(١٤) ، جـ١، ص٢٣٤–٢٣٨؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين (ت:٧١١هـ / ١٣١١م)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، نشر دمشق – سوريا، ط١، (١٤٠٢هـ/١٩٨٤م)، جـ٥، ص١٧١.

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،جـ١١،ص١٣–١٧.

(١٠) الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (المتوفى: ٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة٣٣٣هـ من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيورث. دن، نشر دار المسيرة – بيروت، ص٤٤.

(١١) كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة (١٩٥٠)، ص٦٣.

(١٢) أبن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، جـ٧، ص٥٦.

(١٣) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أحمد عيسى، ط١ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، نشر دار الغد الجديد، ص٣٥٥.

(١٤) الكندي، الولاة وكتاب القضاة، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي ، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، نشر دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ، جـ١، ص٢٠٣؛ الكندي، ولاة مصر، ص٢٩٩؛ المكي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي(ت: ١١١١م /١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية– بيروت، ط١، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) جـ٣، ص٥٤٤.

(١٥) الدوري، عبدالعزيز، النظم الإسلامية الخلافة و الوزارة و النظم المالية والنظم الإدارية، بيت الحكمة – جامعة بغداد ١٩٨٨م، ص٥٨ ؛ محمود، حسن أحمد، والشريف، أحمد إبراهيم، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٥، نشر دار الفكر العربي، ص٣٦٧.

(١٦) سَمَنُّودُ: هي ناحية من نواحي مصر مدينة أزلية في جهة دمياط على ضفة النيل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٥٤.

(١٧) الكندي، ولاة مصر، ص٣٠٤-٣٠٦.

(١٨) أحمد، عبدالرزاق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، نشر دار الفكر العربي، ص٤٧-٤٩ .

(١٩) عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط٣ (١٩٩٥م)، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، ص٦٢.

(٢٠) الكندي، ولاة مصر، ص٢٩٠.

(٢١) كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عصر الإخشيديين، ص٩١.

(٢٢) المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، ١٤١٨هـ، نشر دار الكتب العلمية ، جـ٢، ص١٤٧.

(٢٣) بن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، جـ٣، ص٢٥٤.

(٢٤) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، نشر دار الكتب العلمية– لبنان/ بيروت، جـ١، ص٤٥٠.

(٢٥) أبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٧–٥٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٣١٨.

(٢٦) الكندي، الولاة وكتا القضاة للكندي، جـ١،ص٢١١؛ أبن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٧، ص١٥٤؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٩.

(٢٧) بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٣، ص٢٩١.

(٢٨) حسن، إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص ، الطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٣٢م، نشر وزارة المعارف العمومية ، ص٩٣.

(٢٩) الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت: ٤٥٨هـ)، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، نشر : جروس برس ،طرابلس–لبنان ، ١٩٩٠م ، جـ١، ص٩٤؛ حسن، إبراهيم حسن ، الفاطميون في مصر، ص٩٤– ٩٥ .

(٣٠) المقريزي، المواعظ والاعتبار، جـ٢١، ص٣٢٩.

(٣١) بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٤، ص٢١ .

(٣٢) الأنطاكي، المصدر السابق ، جـ١، ص١٠٩–١١٠.

(٣٣) المقريزي، المواعظ والاعتبار، جـ٢١، ص٣٣٠.

(٣٤) أبن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص٤٥٧.

(٣٥) بن تغري بردي، المصدر السابق، جـ ٤، ص٢١ .